

تأثير اللغة العربية في إفريقيا

الإناز محمد مختار سبي

الجمهورية النينغالية وعلى لغتي « ولوف » التي تعتبر اللغة الوطنية فيها . والتي يتكلم بها عدد عديد في موريطانيا وغينيا ومالي وغامبيا وغينيا بيساو . وذلك لأشخص الموضوع على مقربة مني واصورها تصويرا تاما .

مع علمي الأكيد بأن التأثير اللغوي الذي تم بين اللغة العربية واللغة الولوفية في السينغال لم يتوقف على اللغة الولوفية وكفى . ولا على السينغال فحسب . وإنما شمل جميع اللغات في جميع الأقطار الإفريقية التي اعتنق أهلها الإسلام ودانوا به .

لأنه في الحقيقة نتيجة احتكاك ديني منتشر وثقافي طويل عبر القرون والأجيال .

أما السينغال على وجه التخصيص فقد دخله الإسلام منذ قرونه الأولى . واعتنقوه عن طواعية

هذا الموضوع الذي أريد أن أتطرق إليه موضوع جديد ومهم للغاية بالنسبة للرسالة القيمة التي تبذل مجلة « اللسان العربي » كل الجهود لتحقيقها . ولم أر من تعرض للكتابة فيه إلا ما كان من شذرات قليلة كان شيوخنا واساتذتنا يزودوننا بها أوقات التدريس والتعليم على وجه الاستطراد لفت الانتظار (1) .

وإنه لموضوع واسع لا أريد في هذه العجالة استقصاءه ، وإنما أفتح الباب على مصراعيه فتحا يعرف القارئ به مدى انتشار لغة الضاد في القارة الإفريقية السوداء ، وكيف باضت فيها وامرخت . وكيف امتزجت مفرداتها بلغات الشعوب المسلمة في القارة امتزاجا ، واثرت فيها تأثيرا ملموسا .

وأرائي وإن ذكرت إفريقيا على وجه التعميم . نسأتمصر في بحثي المتواضع هذا على بسلاحي

(1) بعد انتهائي من التحرير لمحت في فهرس المجلة من العدد الأول إلى التاسع فإذا بعنوانين لمقالين كتباهما تتعلق بنفس الموضوع الأول : اللغة الولوفية بالسينغال لشيخ الإسلام العالم الكبير الحاج إبراهيم نياس في الجزء السادس . والثاني : تأثير العربية في السينغال للمسلم الغيور المرشد المخلص الأستاذ مالك نجاي في الجزء الثامن . وأنا لم أكن — مع حرصى على أبحاث المجلة — تمتعت برؤية الأعداد الأولى إلى التاسع

منهم ورغبة ، ومحبة فيه وانتفاع ، بدون انذار أو تهديد مسبق ، وبدون معارك تذكر الا قليلا .

وانما على يد المصلحين الأبرار الذين يعتمدون في جهادهم ودعوتهم — وفق الظروف المحيطة — على تنظيم حلقات الإرشاد والوعظ والذكر والمناقشة الحرة والمجادلة بالتى هى أحسن ... أكثر مما كانوا يعتمدون على سل السيوف واعمال السهريات . وعلى يد بعض شيوخ الصوفية المخلصين ، والتجار المغاربة الذين كانوا يجتازون نهر السينغال في طريقتهم الى جنوب القارة ، والذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة .

على يد هؤلاء وأولئك — لأسباب ومقدمات يضيق المقام عن ذكرها هنا — آمنوا بزبهم واعتقوا الدين الاسلامى الخالد ، وانذابوا في بوتقة عقيدته طائمين ، وأخلصوا دينهم . وأقبلوا على تعلم كتابه العزيز ، ولغته الفصيحة ، واتاموا كثرة كثيرة من الكتاتيب والمدارس والمجالس العلمية الفقهية منها والادبية . حتى عمت البلاد والمدن والقرى ، وطبقت الأرجاء الى حد أصبح من شبه الحال العثور على مسلم امى لم يتزود بأقل قليل من القراءة والكتابة .

وحين جاء الاستعمار الفرنسى الى البلاد كانت اللغة العربية هى اداة التفاهم الوحيدة بينه وبين الأهالى ، وكانت الرسائل المتبادلة بين ابطال الكفاح الوطنى المرير أمثال : لاتجورجوب في « كجور » وهالبورى نجاي في « جلوف » ، ومباه جاجو ، وابنه سعيدمت ، ومريده بران سيسى ، وبين الاستعمار البغيض تكتب حتما بالعربية .

والتصانيد العربية الرنانة التى صيغت في انتصارات هؤلاء الأبطال وفي تشجيعهم معجبة للغاية وأسلوبها قوى وخلاب يدل على براعة أهلها وتفوقهم الأدبى (1) .

والرحلات العلمية الشاقة الطويلة التى تام بها الأجداد ، ومن بعدهم الأبناء والاحفاد الى المغرب العربى ، والى موريطانيا ، والى الحرمين الشريفين عن طريق السودان ومصر ، لاداء فريضة الحج وزيارة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والماكن المقدسة ، وللأخذ عن العلماء والصلحين وتقسيهم غنمية أسفارهم بين ذويهم وأهلهم كل هذا كان يفتح ابوابا واسعة في الصلات الثقافية والعلمية ويكون تجاوبا لغويا يعلو صداه بين أبناء الشعب المسلم .

لهذه الاسباب ولاسباب أخرى نتجت من الاحتكاك الطويل عبر التاريخ كان حتما عليهم ان يضطروا الى ادراج كثير من المفردات العربية وانكارها في مخاطباتهم الشعبية ، وفي احاديثهم في النوادي بعد ان تعودوا استعمالها في الاوساط الدينية والثقافية تلقائيا من الجو الاسلامى السائد . حتى امتزجت كلمات عربية خالصة في لغتهم ، وتمكنت في السننهم ، وأصبح من لايعرف العربية منهم لايجد بدا من ان يعتقد اصلتها في لغتهم .

هذا وامتزاج لغة القرآن وتأثيرها في أى لغة من لغات الشعوب المسلمة في القارة عمل سهل بسيط وعضوى أيضا ، فهم يكتون للإسلام ولنبى الاسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حبسا شاملا ينبثق من إيمانهم العريق ، ويتناول جميع مقومات الاسلام وملابساته وتصوراته وشعائره وتبسه .

وطبيعى لهذا الحب الشامل ان يوجب على الغالبية العظمى منهم ان ينظروا الى اللغة العربية بعين الرضى ، وأن يجدوا في استعمالها دواعى ايجابية ملحة لا مناص من تليبيتها .

لهذا وذاك أثرت فيهم اللغة العربية .

كاله في البطل الشهير « لاتجور » امير « كجور » تروع انشدة الاعدا كتابه كتنهم غنم بالاسد مذعور فليدخل الناس طرا في طريقتهم طوعا والا فسييف الموت مشهور على مقال الاعداى لايزال لنا ملك وهى تيلهم الا أساطير

(1) منها قصيدة الشاعر الأديب القاضى ماجاخرى بشرى فقد شاد دين الله « لتجور » وأحيا اليوم بالاسلام « كجور » وهل ترى ناديا فيه تمر به الا ويسمع تهليل وتكبير تلقاه يأمر بالمعروف عسكره كأنه جاء من ربه نور

واستعملوها عموما ، وان كانوا على اختلاف في التقليل والتكثير ، وفي الطرق التي يستعملون بها اللفظ العربي .

أما فيما يخص لفة ولوف التي يدور حولها البحث فان استعمالها للفظ العربي يأتي على تسمين : فتارة يستعملونه بدون تغيير جديد يطرىء استعمالا عاما في الأوساط الثقافية والدينية والشعبية في حين أنهم لا يزالون يحتفظون بلفظهم المرادف له نحو ما فعلوا في الكلمات التي تعبر عن مصطلح علمي أو ديني أو شيء له صلة باللاهيات ، وهذا القسم واسع ، ولا آتى منه الا ما له تعلق بالقسم التالي .

وطورا يعمدون الى اللفظ العربي فيأخذونه ويصهرونه في توالب لغتهم ، فيحذفون ويثبتون ويبدلون ما راوا ابداله كما يحلو لهم ويوافق طبيعة لغتهم حتى اذا طواعهم اللفظ صبغوه بصبغتهم وأخرجوه من هذا العمل اللغوي ، واتصروا عليه وتناسوا كلمتهم وأخيرا يصير نسيا منسيا ومن هذا القسم غالب ما سأذكره في المعجم الذي اريد تقديمه للقارئ الكريم .

ولكني قبل الدخول في المعجم أرى من اللازم على ان ابين هنا :

أولا - ان التشابه اللفظي دون المعنى لا يعطى الدلالة الصادقة على ان هذه الكلمة عربية الاصل

بل لابد ان يؤيدها التشابه المعنوي .

ثانيا - ان باب الإبدال متسع اتساع اللغات نفسها ولا سيما في الألفاظ المتبادلة بين الشعوب المختلفة .

ثالثا - ان مخارج هذه الحروف العربية « ز ص ض ث ذ ظ » لا وجود لها اصلا في لفة (ولوف) فاذا وجدت في كلمة فلا بد من ابدالها ، ولهم أيضا مخارج نطق لا يعرفها العربي الاصيل رغم انهم - لمرونتهم - قد أخضعوا لهجاء العربي للتعبير عنها .

رابعا - الغالب في الكلمات العربية المستولفة ان يحذف منها حرف أو اكثر ، وهذا الحذف لا يخضع لقاعدة راسخة لا تختلف ، فتارة يكون في اول الكلمة كما في « قل » من عقل ، وآونة في آخرها مثل ما في « قل » من قلب . الا ان يكون المحذوف حرف حلق فيبدل بحرف علة مناسب نحو : نام من نعم ، ودرا من درع :

ودونك مجموعة من الكلمات العربية المستولفة 1 ، المستعملة في لفة « ولوف » غير مستقص لها كما قلت سابقا ، وبجانب كل كلمة معناها المراد بها عندهم ، دون التفات الى معنى أصلها العربي ، فقد تتحدان ، وقد تختلفان اختلافا ما . كما سأذكر معها أصلها العربي ان خفي وأرجو المسامحة اذا تعسرت قراءة بعض الكلمات .

(حرف الباء)

بار سوج : المطلقة ثلاثا من بعد زوج
بطاقل : الرسالة ، الوثيقة من البطاقة
بدا : البدعة
براده : اناء صغير لطبخ الشاي
برك : البركة والنماء
بلا : مشقة وبلا
بغل : حيوان معروف
بهائم : كل ذات أربع قوائم ، البليد الاحمق
بيول : البول

(حرف التاء)

تارخال : العنوان ، التبيين ، التاريخ

(حرف الألف)

الأخرة : يوم الآخرة
أبدا : ثابت دائم
الذن : الحياة الدنيا
الو أوحلو : اللوح
الذ : يوم الاحد
الذن : يوم الاثنين
تلاذ : يوم الثلاثاء
آلارب : يوم الاربعاء
الخميس : يوم الخميس
آجم : يوم الجمعة
أسست أو أسر : يوم السبت
أن : أين

تأليف : جمع أفعال أو اختلاقتها

تسكر : عقوبة عاجلة قاسية لا تنسى من التذكار

تقل : الانتقال من التنقل

تك : القبض القبض من التكة ج . تكك رباط السراويل

توب : الاعتناء من طبع أو تبع

(حرف الجيم)

جالاب : جلباب

جاو أو جو : الجو

جب : الجيب

جامران : زعفران

جل : الصلاة من صل ابدلوا الصاد جييا

جلم : أداة من حديد تستعملها نساؤهم لنقش القطن

وندفه من جلم يجلم جلما اذا تطع

جبراي : الجبرات

جن : الزمن

جن : الجنى

جه : الجبهة

(حرف الحاء)

حاج : المهم من الحاجة

الحاجة : الغائط من قولهم قضاء الحاجة

حاق : التباعة من الحق

جيسل : التحبيس

حرم : الحریم

(حرف الخاء)

خبار : نبا سار عجيب من الخبر

خر : الخروف ومثل هذا بالقطعة بضم القاف في لغة

طى ، وهى قطع اللفظ قبل تمامه ، يقولون

ياأبا الحكا يريدون يا أبا الحكم ، ويقولون لم

يسما يريدون لم يسمع . والقطعة ترد على

كل كلمة حرفا كانت ، أو فعلا ، أو اسما ويكون

حرفا واحدا أو أكثر قال الشاعر :

درس الهنا بمتالع فأبان

فتقادمت بالحبس والسوبان

ا ، المنازل

خلف : الخليفة

(حرف الدال)

دا : أو دح : الحبر ، المحبرة من الدواة

دائما : ثابت متكرر

داب : الدابة

دام : دم الحيض أو النفاس

درا : القميص الواسع الفضفاض من الدرع

درج : المكائة ، الشخصية ، وربما يعنون به الجمال

في المرأة اذا أرادوا الكناية أو التستر

درم : درهم

دليل : المركز المستدل به على وجود شىء ما من

الدلالة

دين : ما يتعبد به حقا أو باطلا

ديوان : كتاب تجمع فيه تصانيد شعر ، الاقليم

المقاطعة ، مكتب الرئاسة

(حرف الراء)

راى : العلم من الراءة

ريا : الزيادة في الريح على وجه محرم

راكبل : التركيب

(حرف السين)

سا : الساعة

سار : الموقف من السورة

ساكر : عضو التناسل للرجل من الذكر

ساكر : الخمر من سكر

سب : البكور من الصبح

سبب : العلة

سجاد : الطنفسة

سبخ : الثبات من رسبخ

ستر : الستر

سدى أو سرق : الصدقة

سطل : اناء صغير له عروة يتوضأ به

وسواء كان الاصل فارسيا أم لا ؟ فهم انما

اتاهم من العرب

سوف : الكرة الارضية ، التراب ، الأدنى من كل أمر

سوف بتخفيف ضم السين : الحقارة من السفاسف

سياره : الزيارة

سياتل : الزخرفة أو صناعة الحلوى من الذهب

والفضة من الصياغة

(حرف الشين)

شرا : الزيادة في الاموال ، لكذب أو لايضاح من

الشرح

شرط : الالتزام

شغل : الحاجة ، المهم ، العمل

شك شك : التشكك

شيطان : كل عات متمرّد من جن أو انس أو دابة أو غير ذلك

(حرف الطاء)

طالب : طالب العلم ، الفقيه الصوفى ، المتزمت فى دينه ،

طبخ : البناء صناعة الخزف من الطبقة أو الطبخ
طبل : الآلة المعهودة

(حرف العين)

عاد : المادة

عد : من اعتدت المرأة عدة ، ولا يستعملون الكلمة العربية الا فى المعتدة من الطلاق أو الفراق

عور : المتكوم مطلقا من العورة

(حرف الغين)

غرم : الأريحي الماجد الذى لا يبالي كم ومن أعطى من الكرم

غور : الوادى من الغور

(حرف الفاء)

فات : الفوات

فات : الموت من الوفاة

فاسق : المجاهر بالمعاصى

فايد : الحزم والعزم من الفائدة

فتنه : المشقة

فجر : الساعة الاخيرة من الليل

فداء : دعوات تقرا لفداء الميت من العذاب

فمرت : الواجب من الفريضة

فصل : التفصيل

فن : المادة ، النوع ، الطريق

(حرف القاف)

قب : الجامع ، العمارة الكبيرة من القبّة

قبر : الضريح

قبول : المحبة ، والكلمة المسموعة

قصة : الحكايات

قضيدة : ابيات من الشعر

قل : القلب

قل : المعتل

تلب : التلسم

تيل قال : التيل والتال

(حرف الكاف)

كاس : الكأس

كافر أو كيفر : الكفر

كامل : المصحف

كب : سماكة البناء وضخامته من الكعبة

كد : التامة الطويلة من القد

كذا وكذا : كناية عما لا يذكر تأديبا ، أو كثرة ، أو استخفافا ، أو ما الى ذلك

كسارة : الخسارة

كلف : الزعيم

كلف مكلف مسكف : البالغ العاقل أو الرجل ذو المروءة

كول : الشاعر يمدح الناس ويذمهم ليعطى

كيس : ما يستعمل لزيادة الذكاء والفهم من الكيس والكياسة ،

(حرف اللام)

لر : الضر ابدلوا الضاد لاما وهو كثير عندهم وله

اصل فى اللغة الفصحى وان كان شادا، ونسبوا

لمنظور بن حية الاسدى يصف ذئبا :

لما رأى أن لادعة ولا شبع

مال الى ارطاة حتف فالطجع

قال العينى فان أصله اضطجع فأبدل الضاد

لاما وهو شاذ . من شرح الشواهد للعينى

لغ : اللغة

لكه : اللجة

(حرف الميم)

مان : القيمة ، المقصود من المعنى

مثال : النظير

مختم : الكناشة أو تسمية كبيرة كأنه مفعول من ختم الكتاب اذا كتبه

مصلا : المصلحة

ملاك : الملك

(حرف النون)

ناغه : الناتمة

نافيق : المنافق

هى : الاستجابة من حى هلا بمعنى اقبل واسرع

(حرف الواو)

ورسك : الرزق

ورغه : الشاى من الورقة

وقت : الساعة

وقف : ترتيل القرآن من وقف القارئ

وقفل : الوقت : الحبس

وكيرل : التوكل من الوكيل

(حرف الياء)

يسال : اسم الذات الواجب الوجود واصله يالله

يوم القيام : يوم الجزاء

نام : كلمة تجاب بها المنادى بمعنى لبيك من نعم

نسخ : الاضحلال ، خفة الحال أو المرض

نن أو جن : نحن

نود : الأذان للصلاة من النداء

نوت : الخريف من التوء

(حرف الهاء)

هاتف : ما يسمعه الاولياء والانبياء من الغيب

هب : من هب الريح يهب هيا

هت أو ات : الساحة من العتبة

هلك : الهلاك

هدى : الهدية